Journal of the College of Education for Humanities
University of Thi-Qar \ ISSN:2707-5672

مجلة كلية التربيـة للعلـوم الانسـانيـة
جامعة ذي قار / الرقم المعياري 2707-5672

https://doi.org/10.32792/utq/jedh/v16i2

السرد النسوي في أدب الأندلس: دراسة تحليلية لأصوات المرأة المغيبة في النصوص الأدبية

علي باقر طاهرنيا
كليه الاداب والعلوم الانسانيه ، جامعه طهران – إيران، btaheriniya@ut.ac.ir

سعاد جبير سلطان
كلية الادارة والاقتصاد ، جامعة كربلاء – العراق، suad.j@uokerbala.edu.iq

الملخص

تسعى هذه الدراسة إلى استكشاف ظاهرة السرد النسوي في الأدب الأندلسي من خلال تحليل معمق لأصوات شاعرات مغيبات، وهن حسانة التميمية وأم السعد بنت عصام الحميري وزينب المرية وأسماء العامرية. كشفت الدراسة عن أن السرد النسوي في الأدب الأندلسي يمثل ظاهرة أدبية متميزة تختلف جوهرياً عن الخطاب الذكوري السائد، حيث يعكس وعياً نسوياً مبكراً في استعادة الصوت المسلوب وإعادة تشكيل الذات الأنثوية من خلال النص الشعري. توصل البحث إلى أن ظاهرة تغييب الأصوات النسوية في النصوص الأدبية الأندلسية لا تعود إلى غياب الإنتاج الأدبي النسوي أو ضعفه، بل تنتج عن آليات إقصاء ممنهجة تعكس البنية الذكورية المهيمنة على عملية الحفظ والتوثيق التاريخي. خلصت الدراسة إلى أن السرد النسوي في شعر هؤلاء الشاعرات الأندلسيات لا يقتصر على الجوانب الفنية والأسلوبية فحسب، بل يمتد ليشمل البعد السياسي والاجتماعي باعتباره فعل مقاومة ضد الإقصاء والتهميش، وأن إعادة الاعتبار لهذه الأصوات المغيبة يتطلب إعادة النظر في المنهجيات التقليدية لدراسة الأدب الأندلسي مع ضرورة استخدام أدوات نقدية حديثة تأخذ بعين الاعتبار خصوصية التجربة الأنثوية في الكتابة، وأن أصوات هؤلاء الشاعرات تظل شواهد حية على وجود تيار نسوي أدبي في الأندلس يمثل مشروعاً تحررياً يكسر احتكار الرجل للسلطة السردية ويؤسس لخطاب أنثوي مستقل يستحق الدراسة المعمقة والتقدير الأكاديمي.

الكلمات المفتاحية : السرد النسوي، الأدب الأندلسي، الأصوات المغيبة.

Journal of the College of Education for Humanities
University of Thi-Qar \ ISSN:2707-5672

مجلة كلية التربيـة للعلـوم الانسـانيـة
جامعة ذي قار / الرقم المعياري 2707-5672

https://doi.org/10.32792/utq/jedh/v16i2

Feminist Narrative in Andalusian Literature: An Analytical Study of Women's Marginalized Voices in Literary Texts

Ali Bagher Taheriniya
Faculty of Arts and Humanities, University of Tehran – Iran,
btaheriniya@ut.ac.ir

Suad Jubair Sultan
Faculty of Administration and Economics, University of Kerbala – Iraq,
suad.j@uokerbala.edu.iq

Abstract

Here This study seeks to explore the phenomenon of feminist narrative in Andalusian literature through an in-depth analysis of the voices of marginalized female poets: Hassana al-Tamimiyya, Umm al-Sa'd bint Isam al-Himyari, Zaynab al-Muriyya, and Asma' al-Amiriyya. The study reveals that feminist narrative in Andalusian literature represents a distinctive literary phenomenon that differs fundamentally from the prevailing masculine discourse, reflecting an early feminist consciousness in reclaiming the silenced voice and reshaping feminine identity through poetic text. The research concludes that the phenomenon of marginalizing female voices in Andalusian literary texts is not due to the absence or weakness of female literary production, but rather results from systematic exclusion mechanisms that reflect the patriarchal structure dominating the process of preservation and historical documentation. The study concludes that feminist narrative in the poetry of these Andalusian poets is not limited to artistic and stylistic aspects alone, but extends to encompass the political and social dimension as an act of resistance against exclusion and marginalization. Furthermore, restoring recognition to these marginalized voices requires reconsidering traditional methodologies for studying Andalusian literature, with the necessity of employing modern critical tools that take into account the specificity of the feminine experience in writing. The voices of these poets remain living testimonies to the existence of a literary feminist current in Andalusia, representing a liberating project that breaks man's monopoly over narrative authority and establishes an independent feminine discourse deserving of in-depth study and academic appreciation.

Keywords: Feminist narrative, Andalusian literature, marginalized voices.

المقدمة

يمثل الأدب الأندلسي أحد أبرز الفصول المضيئة في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، حيث ازدهرت فيه الفنون الأدبية والشعرية وبلغت ذروة من الإبداع والتنوع امتدت لثمانية قرون. غير أن القراءة النقدية المتأنية لهذا التراث الثري تكشف عن غياب واضح أو تهميش ملحوظ لأصوات النساء وتجاربهن السردية، رغم ما تشير إليه المصادر التاريخية من حضور فاعل للمرأة الأندلسية في الحياة الثقافية والاجتماعية.

ويمثل السرد النسوي في الأدب الأندلسي أحد أكثر الموضوعات إثارة للجدل وأهمية في الدراسات الأدبية المعاصرة، إذ يكشف عن طبقات مخفية من الخطاب الثقافي والاجتماعي في حضارة بلغت ذروة ازدهارها الفكري والفني. ورغم الثراء الموضوعي والجمالي الذي تميز به الأدب الأندلسي عبر قرونه الثمانية، فإن أصوات النساء ظلت في معظمها مغيبة أو مهمشة في الدراسات الأدبية التقليدية التي ركزت على النصوص الذكورية واعتبرتها المعيار الوحيد لتمثيل الإبداع الأندلسي.

تنبع أهمية هذا الموضوع من عدة اعتبارات جوهرية، أولها الحاجة الملحة إلى إعادة قراءة التراث الأندلسي من منظور نقدي معاصر يأخذ في الحسبان قضايا النوع الاجتماعي والتمثيل الثقافي، وثانيها الرغبة في استعادة الأصوات المفقودة التي طمستها الرواية الرسمية للتاريخ الأدبي، وثالثها الإسهام في إثراء الدراسات النسوية العربية من خلال تقديم نماذج تاريخية تثبت أن الحضور النسوي في الإبداع الأدبي لم يكن غائباً بقدر ما كان مقموعاً ومتجاهلاً.

غير أن هذا الموضوع يواجه تحديات منهجية ومصدرية جسيمة تجعل من البحث فيه مهمة شاقة ومعقدة، إذ تتمثل أولى هذه التحديات في ندرة النصوص النسوية المحفوظة والموثقة، حيث لم تصل إلينا سوى أجزاء متفرقة من الإنتاج الأدبي للنساء الأندلسيات، وكثير مما وصل جاء عبر وساطة رواة ذكور قد يكونون أثروا في صياغته أو انتقائه.

أما البواعث التي دفعتني لاختيار هذا الموضوع فتتجاوز الاهتمام الأكاديمي البحت لتلامس قناعات عميقة بضرورة إنصاف الإبداع النسوي وإعادة الاعتبار له في خارطة الأدب العربي، فقد لاحظت خلال دراستي للأدب الأندلسي وجود فجوات واضحة في التناول النقدي، حيث يتم الاحتفاء بالشعراء والكتاب الرجال فيما تمر الإشارات القليلة للشاعرات والأديبات مرور الكرام دون تحليل معمق أو تقدير حقيقي لإسهاماتهن. كما أن قراءتي لبعض النصوص النسوية الأندلسية النادرة أثارت لدي تساؤلات حول الأسباب التي أدت إلى تهميش هذه الأصوات رغم ما تحمله من عمق فني وجرأة تعبيرية.

يسعى هذا البحث للإجابة على جملة من التساؤلات المحورية التي تتعلق بطبيعة الحضور النسوي في الأدب الأندلسي، ويتمحور السؤال الرئيس حول كيفية تجلي السرد النسوي في الأدب الأندلسي وما هي الخصائص الفنية والموضوعية التي تميز الأصوات النسائية المغيبة أو المهمشة في النصوص الأدبية الأندلسية. ويرتبط تغييب الصوت النسوي ارتباطاً وثيقاً بطبيعة المجتمع الأندلسي ونظرته للمرأة، إذ تطرح الدراسة تساؤلات محورية حول كيفية تعامل هذا المجتمع مع الجانب النسوي، وهل كان النتاج الأدبي النسوي الذي وصلنا يمثل تمرداً على قيود المجتمع أم كان مجرد مجاراة لتوقعاته.

تنطلق هذه الدراسة من فرضية أصلية مفادها أن الأدب الأندلسي يحتوي على أصوات نسوية مغيبة أو مهمشة تمتلك خصوصية سردية وموضوعية تختلف عن السرد الذكوري السائد. ولتحقيق أهداف البحث والتحقق من هذه الفرضية، تعتمد الدراسة منهجية متعددة الأبعاد تجمع بين المنهج الوصفي التحليلي والمنهج النقدي النسوي، بما يتيح فحص النصوص الأدبية النسوية الأندلسية وتحليلها من زوايا مختلفة تكشف عن الطبقات الدلالية والجمالية المتعددة فيها.

الإطار النظري

أوّلا: مفهوم السرد النسوي

السرد النسوي يُعرّف بأنه: ذلك السرد الصادر عن ذات مؤنثة معبرة عن واقع المرأة وقضاياها من خلال ذاتها هي، لا من خلال ذات أخرى . (كبابي،1956، ص1)

السرد النسوي هو إنتاج سردي تقوم به المرأة ككاتبة، يسعى إلى الثورة على مقومات السرد التقليدي الذي نظّر له الرجل ووضع معاييره وفق طبيعته وتفكيره وسلطته الأحادية . (الحداد ، ب.ت ، ص376)

ويقال أنّ السرد النسوي هو عبارة عن تلازم بين المرأة وكتابة السيرة الذاتية بحكم أنّها تتشارك أموراً وقضايا تخصّها، تسهم في تفصيل الحراك الأدبي من منظورها الخاص ووفق رؤاها وكوامنها الداخلية . (معتصم،2004، ص9)

فيمكننا القول بأنّ مفهوم السرد النسوي يتمحور حول كونه شكلاً سردياً تنتجه المرأة بوصفها ذاتاً مؤنثة فاعلة ومبدعة، حيث تعبر من خلاله عن واقعها وقضاياها الخاصة بصوتها الأصيل دون وساطة أو تمثيل من قبل الآخر الذكوري، وهو بذلك يمثل خروجاً واعياً على المعايير السردية التقليدية التي صاغها الرجل وفق منظوره الأحادي وطبيعته الخاصة، كما أنه يرتبط ارتباطاً وثيقاً بكتابة السيرة الذاتية نظراً لتقاطع التجارب النسائية المشتركة التي تتيح للمرأة الكاتبة أن تسهم في إثراء الحراك

الأدبي من منظورها الذاتي الخاص وعبر رؤاها الداخلية العميقة، مما يجعل السرد النسوي مشروعاً تحررياً وتجديدياً يسعى إلى تأسيس خطاب سردي مغاير يعكس الوعي النسوي ويكسر احتكار الرجل للسلطة السردية والمعرفية في المجال الأدبي.

ثانياً: المكانة الاجتماعية للمرأة الأندلسية

عبر تاريخ الأندلس الإسلامية، برزت المرأة الأندلسية كعنصر فاعل في نسيج الحضارة، فلم تقتصر مساهماتها على مجال واحد، بل امتدت لتشمل السياسة والمجتمع والفنون والاقتصاد والعلوم والآداب. وكان لهذا الحضور النسوي بصمات واضحة في تشكيل الحياة العامة، مدفوعًا بما تمتعت به المرأة من حرية ومكانة مرموقة.

كما كان لها مساهمات فاعلة في علوم الطبّ والصيدلة والفلك والحساب والتّاريخ وعلم الكلام والغناء (صبحي،2003، ص36) وأظهرت الشواهد التاريخية في هذا العصر حضور المرأة لمجالس العلم، فقد رحلت ابنة فايز القرطبي إلى مدينة دانية وبلنسيه لحضور المجالس العلمية لحضور المجالس العلمية لكبار العلماء والشيوخ؛ (ابن الأبار،1956، ص388) كما كانت فاطمة بنت عبد الرحمن بن محمّد من سكان وشقة (الحموي، ب.ت ،ص377) تسعى لطلب العلم، وقد حضرت مجالس القارئ ابي داود المقري في مدينة دانية وذلك سنة 490هـ/1097م.(ابن الأبار، 1956، ص388)

وما يجدر ذكره هنا أنّ حضور المرأة المجالس العلمية وتلقيها العلم على يد كبار العلماء والشيوخ أمكنها من الوصول في هذا العصر إلى مرتبة الأستاذة الشيخة، حيث تجيز الرواة فقد تلقى محمد بن عبد الملك من أهل مدينة اشبيلية العلم على يد عمته أمّة الرحمن بنت أحمد، وروى عنها الحديث النبوي الشريف. (الأنصاري،1984، ص388)

فشكلت المرأة الأندلسية عبر تاريخ الأندلس الإسلامية عنصراً فاعلاً ومحورياً في بناء الحضارة، حيث تجاوزت مساهماتها الحدود التقليدية لتمتد إلى ميادين متعددة شملت السياسة والمجتمع والفنون والاقتصاد والعلوم والآداب، مما جعل لحضورها النسوي بصمات واضحة وعميقة في تشكيل الحياة العامة.

ثالثاً: مدى وصول المرأة الأندلسية إلى التعليم والأدب:

يأتي تناول مدى وصول المرأة الأندلسية إلى التعليم والأدب بوصفه مدخلاً ضرورياً لفهم إشكالية تغييب الصوت النسوي في النصوص الأدبية الأندلسية؛ إذ إن حضور المرأة في الخطاب السردي لا ينفصل عن مستوى تعليمها وإمكانات انخراطها في المجال الثقافي والمعرفي. فمحدودية وصول النساء إلى مؤسسات التعليم، واقتصار هذا الوصول في الغالب على شرائح اجتماعية معيّنة، أسهما في تضييق دائرة الإنتاج الأدبي النسوي، وأدّيا إلى هيمنة السرد الذكوري على تمثيل المرأة وتجربتها الحياتية. وانطلاقاً من ذلك، فإن دراسة واقع التعليم والأدب لدى المرأة الأندلسية تُعدّ أساساً تفسيرياً لتحليل أسباب خفوت صوتها السردي، كما تساعد على الكشف عن العلاقة بين البنية الاجتماعية–الثقافية من جهة، وآليات الإقصاء والتهميش التي طالت الخطاب النسوي في النصوص الأدبية من جهة أخرى.

وأمّا المجتمع الأندلسي فشهد حركة علمية وثقافية منقطعة النظير، حيث برز الشعر من بين الألوان الأدبية والفنية والفروع العلمية التي كان لها رواجاً عظيماً في بلاد المغرب الإسلامي عامة، والأندلس خصوصاً، وقد تعددت أغراضه فمنها ما هو مدح، ومنها ما هو رثاء، ومنها ما هو غزل، ومنها ما كان يعبر عن أغراض ذاتية أو ذات صلة بالحكام والسلاطين؛ ولم تقتصر الأداءات الشعرية على الرجال فقط، وإنما كان للنساء منها نصيب وافر، فقد كان للمرأة الأندلسية في مجال الشعر وأغراضه مساهمات فاعلة، وكانت من خلال أشعارها تحاول تمرير رسائل مشفرة، تحمل في ثناياها أحياناً أغراضاً سياسية أو اجتماعية، وأحياناً أخرى تعبر عن أغراض ذاتية أو فنية . (ابن الأبار،1956، ص388)

يمكننا القول بأنّ دراسة واقع التعليم والوصول إلى الأدب بالنسبة للمرأة الأندلسية في الفترة ما بين القرنين الخامس والسادس الهجريين تكشف عن بيئة ثقافية متميزة سمحت للمرأة بالمشاركة الفعالة في الحياة الفكرية والأدبية (شعبان وطوطاح ، 2004 ،ص16) وتمتد جذور هذه الظاهرة إلى ما قبل ذلك، منذ الفتح الإسلامي للأندلس حتى سقوط قرطبة في الفترة من 92 إلى 422 هـ الموافق 711 إلى 1031 م، حيث شهد المجتمع الأندلسي تطوراً ملحوظاً في مكانة المرأة ودورها الثقافي . (شافع ، 2006 ، ص16)

فنستنتج أن المرأة الأندلسية تمتعت بمكانة ثقافية وأدبية متميزة في المجتمع الأندلسي، حيث لم تقتصر الحركة العلمية والثقافية على الرجال فحسب، بل شاركت النساء بفعالية في الحياة الفكرية والأدبية، وخاصة في مجال الشعر الذي كان من أبرز الفنون الأدبية رواجاً في الأندلس. وقد أثبتت المرأة الأندلسية قدرتها على الإبداع في مختلف الأغراض الشعرية من مدح ورثاء وغزل، بل واستطاعت من خلال أشعارها أن تعبر عن قضايا سياسية واجتماعية إلى جانب الأغراض الذاتية والفنية، مستخدمة أسلوب الرسائل المشفرة لتمرير أفكارها ومواقفها.

دراسة تحليلية لأصوات المرأة المغيبة في النصوص الأدبية

يمثل الأدب الأندلسي مرآة عاكسة للواقع الاجتماعي والثقافي الذي عاشته المرأة في تلك الحقبة، إلا أن هذه المرآة لم تعكس الصورة كاملة، بل ظلت جوانب واسعة من تجارب النساء وأصواتهن محجوبة خلف ستار من الإهمال والتهميش في التدوين التاريخي والأدبي. تبرز إشكالية تغييب أصوات المرأة في النصوص الأدبية الأندلسية كواحدة من أبرز القضايا التي تستدعي البحث المعمق، إذ إن ما وصلنا من نتاجهن الإبداعي لا يمثل سوى شذرات متناثرة مقارنة بالحضور الفعلي للمرأة في المجتمع الأندلسي . (السكري ،2021، ص10)

تشير الدراسات المعاصرة إلى أن قلة الأشعار الواردة في المصادر العربية وتأثرها يمثل عائقاً أساسياً أمام الباحثين، حيث تركزت معظم النصوص النسوية المحفوظة في مصادر محددة كنفح الطيب للمقري، والذخيرة لابن بسام الشنتريني، والمغرب لابن سعيد، بينما غابت أصوات كثيرة لم تجد طريقها للتدوين. هذا التهميش في التوثيق يطرح تساؤلات جوهرية حول معايير الاختيار والانتقاء التي حكمت عملية التدوين، وما إذا كانت هذه المعايير قد انحازت لأصوات معينة دون غيرها بناءً على المكانة الاجتماعية أو القرب من السلطة.

هذا ويرتبط تغييب الصوت النسوي ارتباطاً وثيقاً بطبيعة المجتمع الأندلسي ونظرته للمرأة، إذ تطرح الدراسات تساؤلات محورية حول كيفية تعامل هذا المجتمع مع الجانب النسوي، وهل كان النتاج الأدبي النسوي الذي وصلنا يمثل تمرداً على قيود المجتمع أم كان مجرد مجاراة لتوقعاته. هذا التساؤل يفتح المجال لدراسة العلاقة الجدلية بين النص والسياق، وبين صوت الشاعرة ومحددات البيئة الاجتماعية والثقافية التي أنتجت فيها نصوصها.

من الملاحظ أن الأصوات التي استطاعت أن تخترق حجب النسيان وتصل إلينا كانت في معظمها أصواتاً مرتبطة بالسلطة والنفوذ، كشاعرات بيت الملك والأميرات، مما يطرح تساؤلاً حول تأثير المكانة السياسية والاجتماعية في ظهور الأشعار وتميزها . (السكري،2021 ، ص10- 12)

وأمّا في هذه الدراسة، فنستغني عن إيراد نماذج من الأدب النسائي الأندلسي التي حظيت باهتمام أكبر من قِبَل الباحثين في مجال الأدب الأندلسي، ونسعى إلى تسليط الضوء على نماذج من الأصوات الأدبية النسائية الأقل حضوراً في الساحة البحثية، بُغية تعريف القارئ بها وإبرازها:

2-1. حسّانة التميمية:

تُعد الشاعرة حسانة التميمية، وهي حسانة بنت أبي عاصم بن زيد الشاعر التميمي، من أوائل الأصوات النسوية المغيبة في المشهد الأدبي الأندلسي، رغم أنها تُحسب من أولى شهيرات الأندلس وليست من الوافدات، إذ وُلدت في البيرة بغرناطة وعاشت أواخر القرن الثاني الهجري وأوائل القرن الثالث الهجري، وتوفيت نحو سنة 230هـ/845 م . (بوفلاقة ، 1986، ص31)

وما يجعل حسانة نموذجاً بارزاً للأصوات المغيبة هو أن المصادر التاريخية لم تُشر إلى تاريخ ميلادها بدقة، كما أن إنتاجها الشعري لم يحظ بالاهتمام الكافي مقارنة بالشعراء الرجال في عصرها، رغم أنها كانت من الحرائر وليست من القيان، وورثت ملكة الشعر عن أبيها، وكانت من أحسن نساء زمانها وأفصحهن قولاً. إن غياب التوثيق الكامل لسيرتها وإنتاجها الشعري يعكس النزعة الذكورية في التأريخ الأدبي التي همّشت الأصوات النسوية حتى حين كانت هذه الأصوات تمتلك حضوراً قوياً في الساحة الأدبية والاجتماعية . (شافع ، 2006، ص131)

يقول المقريزي في كتابه "نفح الطيّب": أدبت وتعلمت الشعر، فلما مات أبوها كتبت إلى الحكم، وهي إذ ذاك بكر لم تتزوج:

إِنّي إِلَيكَ أَبَا العَاصي مُوجَعَةٌ أَبَا المُخَشَّى سَقَتْهُ الواكِفُ الدِّيَمُ
قَد كُنْتُ أَرْتَعُ في نَعْمَاهُ عَاكِفَةٌ فَاليَومَ آوي إِلَى نَعْمَاكَ يَا حَكَمُ
أنتَ الإِمامُ الَّذي انْقَادَ الأَنَامُ لَهُ وَمَلَّكَتْهُ مَقَاليدَ النُّهَى الأُمَمُ
لَا شَيءَ أَخْشَى إِذَا مَا كُنْتَ لي كَنَفاً آوي إِلَيهِ ولَا يَعْرُوني العَدَمُ
لا زِلْتَ بِالعِزَّةِ القَعْسَاءِ مُرتَدياً حتَّى تَذِلَّ إِلَيكَ العُرْبُ والعَجَمُ

فلما وقف الحكم على شعرها استحسنه، وأمر لها بإجراء مرتب، وكتب إلى عامله على إلبيرة فجهزها بجهاز حسن (المقريزي ، 1968، ص167)

يكتسب شعر حسانة التميمية أهمية بالغة في سياق السرد النسوي الأندلسي، إذ يمثل نموذجاً فريداً لكيفية توظيف المرأة الأندلسية للشعر كوسيلة للتعبير عن أزمتها الوجودية والاجتماعية في مواجهة واقع قاسٍ فرضته عليها ظروف الترمل والحاجة. تتجلى في قصيدتها الأولى الموجهة إلى الأمير الحكم بن هشام ملامح سردية واضحة تتجاوز الإطار التقليدي لشعر المدح، لتصبح القصيدة فضاءً تعبيرياً تروي فيه الشاعرة حكايتها الشخصية وتحولاتها الاجتماعية بعد وفاة أبيها.

يبدأ الخطاب الشعري بصيغة المتكلم المفردة المؤنثة "إني إليك" التي تضع الذات الأنثوية في مركز النص وتجعلها محوراً فاعلاً ومنتجاً للمعنى، وليس مجرد موضوع سلبي للحديث كما هو الحال في الكثير من الشعر الذكوري الذي يتناول المرأة. إن استخدام ضمير المتكلم يعكس وعياً نسوياً مبكراً بأهمية امتلاك الصوت والحق في رواية القصة الذاتية من منظور الذات الأنثوية نفسها، وهو ما يتماهى مع جوهر السرد النسوي الذي يسعى إلى استعادة الصوت المسلوب وإعادة تشكيل الذات الأنثوية من خلال السرد.

هذه القصيدة تحمل بنية سردية متدرجة تبدأ بتقديم الحالة الراهنة للشاعرة "موجعة"،وهي كلمة تحمل طبقات متعددة من المعاني تتجاوز الألم الجسدي لتشمل الألم النفسي والاجتماعي الناتج عن فقدان السند والحامي. إن اختيار هذه المفردة بالذات يعكس حساسية أنثوية في التعبير عن المعاناة، حيث لا تلجأ الشاعرة إلى المبالغات الدرامية أو الصور الحماسية التي كان يميل إليها الشعراء الذكور، بل تعبر بصدق وبساطة عن واقعها المؤلم. ثم تنتقل إلى استرجاع الماضي الزاهر "قد كنت أرتع في نعماه عاكفة"، لتصل إلى الحاضر المأزوم "فاليوم آوي إلى نعماك يا حكم"، وهذا التسلسل الزمني يمنح النص طابعاً قصصياً يروي مسار التحول في حياة الشاعرة من حالة الرفاهية والأمان في كنف الأب إلى حالة الضعف والحاجة بعد فقدانه. إن هذه البنية السردية الزمنية ليست مجرد ترتيب شكلي للأحداث، بل هي تجسيد لتجربة المرأة الأندلسية في مواجهة التحولات الاجتماعية القاسية التي كانت تفرضها عليها البنية الأبوية للمجتمع، حيث يصبح وجود المرأة ومكانتها الاجتماعية مرهوناً بوجود الرجل الحامي، سواء كان أباً أو زوجاً أو ولياً. هذا الواقع المرير تعبر عنه حسانة بصدق عميق من خلال التناقض الحاد بين الماضي والحاضر، بين فعل "أرتع" الذي يوحي بالحرية والطمأنينة وفعل "آوي" الذي يحمل دلالات اللجوء والاحتياج.

تتجلى براعة حسانة التميمية في توظيف استراتيجية خطابية ذكية تجمع بين المدح والشكوى، بين تعظيم المخاطب وعرض الحاجة الذاتية، وهو ما يعكس وعياً عميقاً بطبيعة العلاقات السلطوية في المجتمع الأندلسي وبآليات التفاوض مع السلطة من موقع الضعف. فعندما تخاطب الأمير بقولها "أنت الإمام الذي انقاد الأنام له وملكته مقاليد النهى الأمم"، فإنها لا تمارس المدح التقليدي فحسب، بل تبني أساساً خطابياً تستند إليه لاحقاً في طلب الحماية والعطاء، إذ إن تعظيم قدرة الحاكم على حماية رعاياه يشكل مقدمة منطقية لطلب الحماية الشخصية. هذا النسج الدقيق بين المدح والطلب يكشف عن مهارة سردية عالية في بناء الحجة وتوجيه الخطاب بما يخدم الهدف النهائي، وهو ما يميز السرد النسوي الذي لا يكتفي بالشكوى المباشرة بل يوظف استراتيجيات خطابية معقدة للتعبير عن الذات والمطالبة بالحقوق .

ومما يجدر ذكره هنا أنّ استخدام صورة "أرتع في نعماه عاكفة" يحمل دلالات خاصة في السياق النسوي، إذ يعبر عن علاقة الابنة بأبيها كعلاقة حماية ورعاية، وليس كعلاقة سيطرة وهيمنة، وهو ما يميز المنظور الأنثوي في تصوير العلاقات الأسرية.

تكتسب القصيدة بعداً سياسياً واجتماعياً عميقاً عندما نقرأها في سياق البنية الأبوية للمجتمع الأندلسي، فالشاعرة لا تطلب الحماية والعطاء كحق أصيل لها كإنسانة، بل تطلبها كإحسان ومنّة من الحاكم، وهو ما يعكس موقع المرأة الهامشي في البنية الاجتماعية السائدة. إن عبارة "لا شيء أخشى إذا ما كنت لي كنفاً آوي إليه ولا يعروني العدم" تكشف عن واقع المرأة الأندلسية التي يصبح أمنها الوجودي والاقتصادي رهناً بحماية الرجل، سواء في إطار الأسرة أو في إطار السلطة السياسية. هذا الواقع القاسي تعبر عنه حسانة بصدق مؤلم، دون أن تسعى إلى تجميله أو إخفائه، وهو ما يجعل من شعرها وثيقة تاريخية واجتماعية مهمة لفهم وضع المرأة في المجتمع الأندلسي، إلى جانب كونه نصاً أدبياً رفيعاً.

فيمكننا القول بأنّ دراسة شعر حسانة التميمية من منظور السرد النسوي تكشف عن قدرة المرأة الأندلسية على توظيف الشعر كأداة للتفاوض مع السلطة وللتعبير عن الذات في مجتمع ذكوري، كما تكشف عن وعي مبكر بأهمية امتلاك الصوت وإنتاج الخطاب الذاتي. إن نجاح حسانة في تحقيق هدفها من القصيدة، حيث استحسن الحكم شعرها وأمر لها بمرتب وجهاز حسن، يؤكد فاعلية هذا الخطاب الشعري النسوي وقدرته على التأثير في المتلقي وتحقيق الغاية المرجوة منه. ومع ذلك، فإن هذا النجاح نفسه يطرح تساؤلات إشكالية حول ثمن هذا الحضور النسوي في الفضاء العام، وما إذا كان على المرأة دائماً أن تمر عبر بوابة المدح والتوسل للحصول على حقوقها الأساسية، أم أن هناك إمكانية لخطاب نسوي أكثر جذرية ومواجهة. إن شعر حسانة التميمية، بكل ما يحمله من قوة تعبيرية وبراعة فنية، يظل شاهداً على تعقيدات الوجود الأنثوي في المجتمع الأندلسي وعلى المحاولات المستمرة للمرأة لإيجاد مساحة لصوتها في فضاء ثقافي واجتماعي يميل إلى إقصائها وتهميشها، مما يجعل من استعادة هذا الصوت وإعادة قراءته من منظور نسوي معاصر ضرورة بحثية وأخلاقية في آن واحد.

هذا ويحكى أنها وفدت على ابنه عبد الرحمن بشكية من عامله جابر بن لبيد والي إلبيرة، وكان الحكم قد وقع لها بخط يده تحرير أملاكها، وحملها في ذلك على البر والإكرام، فتوسلت إلى جابر بخط الحكم، فلم يفدها، فدخلت إلى الإمام عبد الرحمن، فأقامت بفنائه، وتلطفت مع بعض نسائه، حتى أوصلتها إليه، وهو في حالة طرب وسرور، فانتسبت إليه، فعرفها وعرف أباها، ثم أنشدته:

إِلَى ذِي النَّدَى والمجدِ سَارَتْ ركَائِبِي عَلَى شُحْطٍ تُصْلَى بِنَارِ الهَوَاجِرِ
لِيَجْبُرَ صَدْعِي إِنَّهُ خَيْرُ جَابِرٍ وَيَمْنَعُنِي مِنْ ذِي الظَّلَامَةِ جَابِرِ
فَإِنِّي وَأَيْتَامِي بِقَبْضَةِ كَفِّهِ كَذِي ريشٍ أَضْحَى في مَخَالبِ كَاسِرِ
جَدِيرٌ لِمِثْلِي أَنْ يُقَالَ مُرَوَّعَةٌ لِمَوتِ أَبِي العَاصِي الَّذِي كَانَ نَاصِرِي
سَقَاهُ الحَيَا لَو كانَ حَيّاً لَمَا اعْتَدَى عَلَيَّ زَمَانٌ بَاطِشٌ بَطْشَ قَادِرِ
أَيَمْحُو الَّذي خَطَّتْهُ يُمْنَاهُ جَابِرُ لَقَد سَامَ بِالأمْلاكِ إِحْدَى الكَبَائِرِ

ولما فرغت رفعت إليه خط والده، وحكت جميع أمرها، فرق لها، وأخذ خط أبيه فقبله ووضعه على عينيه، وقال: تعدى ابن لبيد طوره، حين رام نقض رأي الحكم، وحسبنا أن نسلك سبيله بعده، ونحفظ بعد موته عهده، انصرفي يا حسانة فقد عزلته لك، ووقع لها بمثل توقيع أبيه الحكم، فقبلت يده، وأمر لها بجائزة، فانصرفت وبعثت إليه بقصيدة منها:

اِبنُ الهِشَامَينِ خَيرُ النَّاسِ مَأثَرَةً وَخَيرُ مُنْتَجَعٍ يَوماً لِرُوَّادِ
إِنْ هَزَّ يَومَ الوَغَى أَثْنَاءَ صَعْدَتِهِ رَوَى أَنَابِيبَهَا مِنْ صِرْفِ فِرْصَادِ
قُلْ لِلإمامِ أَيَا خَيرَ الوَرَى نَسَباً مُقَابلاً بَينَ آبَاءٍ وَأَجْدَادِ
جُودتَ طَبعِي وَلَم تَرْضَ الظَّلَامَةَ لِي فَهَاكَ فَضْلَ ثَنَاءٍ رَائحٍ غَادِ
فَإِنْ أَقَمْتُ فَفِي نَعْمَاكَ عَاطِفَةٌ وَإِنْ رَحَّلتُ فَقَدْ زَوَّدْتَنِي زَادِي (المقريزي، 1968، ص168)

يمكننا القول بأنّ شعر حسانة التميمية يكتسب أهمية استثنائية في سياق دراسة السرد النسوي بالأدب الأندلسي، إذ يمثل نموذجاً فريداً للصوت الأنثوي الذي استطاع أن يخترق جدران الصمت المفروض على المرأة في تلك الحقبة، وأن يحول الشعر من مجرد أداة للتعبير الجمالي إلى وسيلة فعالة للمطالبة بالحقوق والدفاع عن الذات في مواجهة الظلم الاجتماعي والسياسي. إن قراءة متأنية لمثل هذه القصائد تكشف عن وعي سردي عميق وقدرة على توظيف الخطاب الشعري كأداة للتفاوض مع السلطة، مما يجعل من شعرها نصاً مركباً يجمع بين البعد الجمالي والبعد الوظيفي والبعد السياسي في آن واحد.

تتجلى البنية السردية في شعر حسانة من خلال قدرتها على نسج حكاية متكاملة تبدأ بتصوير المعاناة وتنتهي بطلب الإنصاف، وهو ما يتضح جلياً في قصيدتها التي وجهتها إلى عبد الرحمن بن الحكم شاكية من ظلم عامله جابر بن لبيد. ففي مطلع القصيدة نجد أن الشاعرة تستهل حديثها بتصوير رحلتها الشاقة نحو الأمير، حيث تقول "إلى ذي الندى والمجد سارت ركائبي على شحط تصلى بنار الهواجر"، وهو استهلال يحمل دلالات سردية عميقة، إذ لا تكتفي الشاعرة بالشكوى المباشرة، بل تمهد لها بتصوير المشقة الجسدية والنفسية التي تحملتها في سبيل الوصول إلى صاحب السلطة. إن هذا التصوير للرحلة يعكس وعياً سردياً بأهمية السياق المكاني والزماني في بناء الحجة، فالمسافة الطويلة والحر الشديد يصبحان شاهدين على جدية القضية وإلحاحها، كما أنهما يمنحان الشاعرة مشروعية أخلاقية إضافية في مطالبتها بالإنصاف.

يتعمق البعد السردي في البيت الثاني حين تستخدم حسانة تورية لغوية بارعة في قولها "ليجبر صدعي إنه خير جابر ويمنعني من ذي الظلامة جابر"، حيث تلعب على اسم الوالي الظالم "جابر" لتقيم تضاداً دلالياً بين "جابر" بمعنى المصلح والمعين وبين "جابر" الشخص الذي يمثل مصدر ظلمها. هذا الاستخدام الذكي للغة لا يعكس فقط مهارة شعرية، بل يكشف عن استراتيجية خطابية واعية تهدف إلى تعرية التناقض بين الاسم والفعل، بين المفترض والواقع، وهو أسلوب سردي يعتمد على المفارقة لتعميق الإحساس بالظلم وإبراز حجم التناقض الذي تعيشه الشاعرة. علاوة على ذلك، فإن هذا التورية تحمل بعداً سياسياً خفياً، إذ تضع الشاعرة الأمير في موقف يتطلب منه أن يكون هو "الجابر" الحقيقي الذي يصلح ما أفسده عامله، وبذلك تحوله من مجرد متلقٍ للشكوى إلى طرف مسؤول عن إحقاق العدالة.

تستمر حسانة في بناء سردها الشعري بتصوير حالتها المأساوية في البيت الثالث "فإني وأيتامي بقبضة كفه كذي ريش أضحى في مخالب كاسر"، حيث تستخدم تشبيهاً بليغاً يجسد علاقة القوة غير المتكافئة بينها وبين الوالي الظالم. إن اختيار صورة الطائر الضعيف في مخالب الجارح يحمل دلالات رمزية متعددة، فهو يعبر عن الضعف والعجز من جهة، ولكنه في الوقت نفسه يستحضر عنصر البراءة والطهارة المرتبط بالطيور، مما يعمق من التعاطف مع موقف الشاعرة ويزيد من فداحة الظلم الواقع

عليها. والأهم من ذلك أن هذا التشبيه يحمل بعداً سردياً واضحاً، إذ يصور علاقة درامية بين طرفين غير متكافئين، مما يخلق توتراً سردياً يستدعي التدخل والحل، وهو ما تطالب به الشاعرة ضمنياً من خلال هذه الصورة.

يكتسب البعد السردي في شعر حسانة عمقاً إضافياً حين تستدعي ذكرى والدها في البيت الرابع "جدير لمثلي أن يقال مروعة لموت أبي العاصي الذي كان ناصري"، حيث تربط بين محنتها الحالية وفقدان السند الأبوي، مما يضفي على سردها بعداً زمنياً يمتد من الماضي إلى الحاضر. إن هذا الربط الزمني ليس مجرد تذكر عاطفي، بل هو عنصر سردي يهدف إلى تفسير الوضع الحالي وتبرير الضعف الذي تعاني منه، فالأب الذي كان يمثل الحماية والسند لم يعد موجوداً، وبالتالي أصبحت عرضة للظلم. هذا السرد الذي يربط بين الماضي والحاضر يعكس فهماً عميقاً للبنية السببية للأحداث، وهو ما يميز السرد الواعي عن مجرد السرد العفوي.

كما أن استدعاء شخصية الأب يحمل بعداً رمزياً، إذ يمثل الأب في الثقافة العربية رمزاً للحماية والعزة، وفقدانه يعني فقدان هذه الحماية، مما يجعل من الأمير البديل الطبيعي الذي يجب أن يقوم بهذا الدور.

تبلغ القصيدة ذروتها الدرامية في البيت السادس حين تطرح حسانة السؤال الاستنكاري "أيمحو الذي خطته يمناه جابر لقد سام بالأملاك إحدى الكبائر"، وهو سؤال لا يبحث عن إجابة بقدر ما يهدف إلى التشنيع على فعل الوالي وتضخيم حجم الجريمة التي ارتكبها. إن استخدام الاستفهام الاستنكاري هنا يحمل بعداً حجاجياً قوياً، إذ يضع المتلقي (الأمير) أمام الحقيقة الصارخة بأن عامله قد تجاوز حدوده وانتهك حرمة ما كتبه الحكم نفسه. والملفت أن الشاعرة لا تكتفي بتوصيف الفعل كخطأ إداري أو تجاوز بسيط، بل تصفه بأنه "إحدى الكبائر"، وهو وصف يحمل حمولة دينية وأخلاقية تجعل من القضية ليست مجرد نزاع شخصي بل قضية أخلاقية تمس المبادئ الأساسية للعدالة. هذا الارتقاء بالقضية من المستوى الشخصي إلى المستوى الأخلاقي يعكس وعياً خطابياً متقدماً، إذ تدرك الشاعرة أن القضايا الكبرى تحظى بالاهتمام أكثر من المشكلات الفردية.

أما في القصيدة الثانية التي وجهتها حسانة إلى عبد الرحمن بعد أن أنصفها، فنجد تحولاً واضحاً في الخطاب من لغة الشكوى والاستعطاف إلى لغة الشكر والثناء، مما يعكس مرونة سردية وقدرة على التكيف مع المقامات المختلفة. تفتتح الشاعرة قصيدتها بقولها "ابن الهشامين خير الناس مأثرة وخير منتجع يوماً لرواد"، وهو افتتاح يحمل طابعاً تمجيدياً يليق بمقام الشكر والامتنان. إن استخدام لقب "ابن الهشامين" يحمل دلالة تاريخية ونسبية تربط الأمير بجذوره العريقة وتذكره بمسؤوليته في الحفاظ على تراث أجداده من العدل والكرم. كما أن وصفه بأنه "خير منتجع يوماً لرواد" يشير إلى أن فعله لم يكن مجرد إنصاف لحسانة وحدها، بل كان تأكيداً على صفة العدل التي يجب أن يتحلى بها كل حاكم، وبالتالي فإن الشاعرة تعمم الحالة الخاصة لتجعل منها مثالاً عاماً.

يكشف البيت الثاني من هذه القصيدة عن بعد سردي آخر حين تقول "إن هز يوم الوغى أثناء صعدته روى أنابيبها من صرف فرصاد"، حيث تنتقل من المدح المباشر إلى تصوير بطولة الأمير في ساحة القتال. هذا الانتقال ليس عشوائياً، بل هو جزء من استراتيجية سردية تهدف إلى ربط العدل الذي أظهره الأمير في قضيتها بالشجاعة التي يظهرها في الحرب، وكأن الشاعرة تقول إن العدل والشجاعة وجهان لعملة واحدة، وأن من يتحلى بإحداهما لا بد أن يتحلى بالأخرى. إن هذا الربط بين الفضائل المختلفة يعكس رؤية شاملة للحاكم المثالي، وهو ما يجعل من المدح ليس مجرد مجاملة أو واجب شكر، بل تصويراً لنموذج أخلاقي وسياسي متكامل.

تختتم حسانة قصيدتها بقولها "جودت طبعي ولم ترض الظلامة لي فهاك فضل ثناء رائح غاد فإن أقمت ففي نعماك عاطفة وإن رحلت فقد زودتني زادي"، وهو ختام يحمل دلالات سردية عميقة. ففي البيت الأول من هذا المقطع، تعترف الشاعرة بأن الأمير قد "جود طبعها"، أي أحسن إليها وأكرمها، وأنه "لم يرض الظلامة" لها، وهو اعتراف يحمل بعداً تقييمياً للفعل، إذ تضع الشاعرة نفسها في موقع الحكم على ما حدث، وتعلن أن الأمير قد نجح في اختبار العدالة. أما في البيت الأخير، فنجد أن حسانة تترك الخيار مفتوحاً بين البقاء والرحيل، وهو ما يعكس استقلالية نادرة في خطاب المرأة في تلك الفترة. إن قولها "فإن أقمت ففي نعماك عاطفة وإن رحلت فقد زودتني زادي" يحمل رسالة ضمنية بأنها لم تعد في حاجة ماسة للبقاء تحت حماية الأمير، بل إن ما نالته من إنصاف يكفيها سواء بقيت أو رحلت، وهو ما يمنحها نوعاً من السيادة على قرارها ويحررها من موقع الضعف والاحتياج المطلق.

إن قراءة شعر حسانة التميمية من منظور السرد النسوي تكشف عن عدة خصائص تميز هذا الصوت الأنثوي عن الخطاب الشعري الذكوري السائد في تلك الفترة. فعلى المستوى الموضوعي، نجد أن حسانة لم تكتف بالأغراض الشعرية التقليدية كالغزل أو الوصف، بل حولت الشعر إلى أداة للمطالبة بالحقوق والدفاع عن الذات، وهو ما يعكس وعياً مبكراً بإمكانية استخدام الأدب كوسيلة للتغيير الاجتماعي. وعلى المستوى الأسلوبي، نلاحظ أن شعرها يجمع بين الرقة والقوة، بين العاطفة والعقل، بين

الشكوى والمطالبة، وهو مزيج يعكس تعقيد التجربة الأنثوية في مجتمع ذكوري. أما على مستوى البنية السردية، فنجد أن قصائدها تحمل بنية درامية واضحة تبدأ بعرض المشكلة وتنتهي بالحل، مما يجعل منها نصوصاً سردية بامتياز وإن كانت في ثوب شعري. إن هذه الخصائص مجتمعة تجعل من حسانة التميمية نموذجاً فريداً للسرد النسوي في الأدب الأندلسي، ونموذجاً يستحق الدراسة المعمقة باعتباره صوتاً مغيباً استطاع أن يخترق حواجز الصمت ويصل إلينا عبر القرون حاملاً شهادته على واقع المرأة الأندلسية ونضالها من أجل العدالة والكرامة.

ويمكن القول بأنّ شعر حسانة التميمية يكتسب أهمية خاصة في سياق السرد النسوي، إذ لم يقتصر على الأغراض التقليدية كالمدح، بل تجاوزها ليصبح وسيلة للتعبير عن القضايا الاجتماعية والذاتية للمرأة الأندلسية. فقد ضربت حسانة مثالاً رائعاً من خلال أشعارها التي كان الغرض منها عدم استكانة المرأة الأندلسية المسلمة التي يقع عليها الظلم، حيث كانت تكتب أشعارها شاكية إلى عبد الرحمن بن الحكم، أحد أمراء الأندلس في عصرها. هذا البعد السردي في شعرها يتجلى في قدرتها على نسج حكاية معاناتها وقضيتها من خلال الأبيات الشعرية، مما يجعل من قصائدها نصوصاً سردية تحمل صوت المرأة المظلومة التي تبحث عن العدالة.

وما يُميز هذا السرد النسوي في شعرها هو الذكاء الخطابي الذي كانت تتمتع به، إذ كانت تمدح الحكام أولاً ثم تعرض شكواها من خلال تنظيم أبيات شعرية لهذا الغرض، مما يدل على وعيها بآليات الخطاب والتأثير، وهو وعي سردي يتجاوز مجرد التعبير العاطفي ليصبح استراتيجية تواصلية تهدف إلى تحقيق غاية محددة. إن هذا البناء السردي المتدرج في شعرها، الذي يبدأ بالتمهيد عبر المدح وينتهي بعرض القضية، يكشف عن حس قصصي وقدرة على توظيف الشعر كأداة سردية تحمل بنية درامية واضحة، مما يجعل من حسانة التميمية صوتاً نسوياً مغيباً لا يستحق الاستعادة فحسب، بل يستحق الدراسة المعمقة كنموذج للسرد النسوي في الأدب الأندلسي.

2-2. أمّ السعد بنت عصام الحميري:

تمثل أم السعد بنت عصام الحميري، المعروفة بسعدونة من أهل قرطبة (فواز،2012، ص29) نموذجاً بارزاً للأصوات النسوية المغيبة في الخطاب الأدبي الأندلسي، حيث اقتصر ما وصلنا من تراثها الشعري على قصيدة واحدة في مدح النبي صلى الله عليه وسلم وتمثال نعله الشريف، بينما تشير المصادر التاريخية إلى أنها كانت من النساء المشهورات في الأندلس وأنها روت عن أبيها وجدها وأنشدت لنفسها، مما يدل على وجود منجز شعري أوسع لم يصلنا منه إلا النزر اليسير.

إن هذا التغييب الممنهج للصوت الأنثوي في التدوين الأدبي يعكس البنية الذكورية المهيمنة على عملية الحفظ والتوثيق التاريخي، فعلى الرغم من شهرتها وتميزها الأدبي، لم تحظ أم السعد بالاهتمام الكافي من المؤرخين والمحققين، ولم يتم جمع ديوانها أو توثيق مسيرتها الشعرية بشكل شامل كما حدث مع الشعراء الرجال المعاصرين لها.

والملفت للنظر أن القصيدة الوحيدة التي وصلتنا لأم السعد تحمل في طياتها سمات السرد النسوي المتميز، حيث تبدأ بصيغة استفهامية توحي بحوار داخلي عميق وبحث عن المعنى الروحي، فقولها: (المقريزي ، 1968 ، ص166)

سَأَلْتُمُ التِّمْثَالَ إِذْ لَم أَجِدْ لِلثَّم نَعْلِ المصْطَفَى مِن سَبيل
لَعَلَّنِي أَحْظى بِتَقبيلِهِ فِي جَنَّةِ الفردَوسِ أسْنى مَقيل
فِي ظِلِّ طُوبَى سَاكِناً آمِناً أُسْقَى بِأكوَاسٍ مِنَ السَّلسَبيلِ
وَأمسَحُ القَلْبَ بِهِ عَلَّهُ يَسْكُنُ مَا جَاشَ بِهِ مِن غَليل
فَطَالَمَا اِسْتَشْفَى بِأطلالِ مَنْ يَهْواهُ أَهلُ الحُبِّ فِي كُلِّ جيل

هذا الشعر يكشف عن وعي سردي يتجاوز مجرد المدح التقليدي إلى تأمل فلسفي في طبيعة التوسل والتبرك، وهو ما يمنح النص بعداً سردياً يعكس تجربة ذاتية أنثوية في التعامل مع المقدس. إن استخدام أم السعد لضمير المخاطبة المؤنث في خطابها الشعري يشير إلى وجود ذات نسوية واعية تخاطب نفسها أو تخاطب نساء أخريات، مما يخلق فضاءً سردياً نسوياً خاصاً يختلف عن الخطاب الذكوري السائد في شعر المدح النبوي، حيث تتحول القصيدة من مجرد نص مدحي إلى سرد لتجربة روحانية تعكس حساسية المرأة الأندلسية وطريقتها الخاصة في التعبير عن الإيمان والتقوى. ويمكن اعتبار هذه القصيدة نموذجاً للسرد النسوي لأنها تعكس منظوراً أنثوياً فريداً في التعامل مع الموضوع الديني، حيث لا تكتفي الشاعرة بالمدح المباشر بل تبني سرداً تأملياً يقوم على المساءلة الذاتية والبحث عن اليقين الروحي، وهو ما يتماشى مع خصائص السرد النسوي الذي يميل إلى الاستبطان والتعبير عن التجربة الشخصية بلغة عاطفية رقيقة.

في الواقع، يُشكل شعر أم السعد بنت عصام الحميري، المعروفة بسعدونة القرطبية، نموذجاً لافتاً للانتباه في دراسة السرد النسوي الأندلسي، ليس فقط من حيث المضمون الشعري بل أيضاً من حيث ما يكشفه غيابها شبه التام من المدونة الأدبية عن آليات الإقصاء الممنهجة للصوت الأنثوي في الثقافة الأندلسية. فعلى الرغم من أن المصادر التاريخية تشير إلى مكانتها الأدبية وشهرتها في قرطبة، وعلى الرغم من روايتها عن أبيها وجدها وإنشادها لشعرها الخاص، إلا أن ما وصلنا منها يقتصر على قصيدة واحدة في مدح النبي صلى الله عليه وسلم وتمثال نعله الشريف، وهو ما يدفعنا إلى التساؤل عن حجم التراث الشعري الذي فُقد أو أُهمل عمداً أو إهمالاً في عملية التدوين والحفظ التي سيطر عليها الرجال. إن هذا التغييب لا يعكس بالضرورة محدودية إنتاجها الأدبي بل يكشف عن انحياز مؤسسي في تقييم وحفظ الإرث الأدبي، حيث لم تحظ سعدونة بالاهتمام ذاته الذي حظي به معاصروها من الشعراء الذكور، ولم يُجمع ديوانها ولم تُوثق سيرتها الأدبية بالتفصيل المطلوب، مما يضعنا أمام حالة نموذجية لما يمكن تسميته بالتهميش الأرشيفي للأصوات النسوية في التراث الأندلسي.

تحمل القصيدة الوحيدة الباقية لأم السعد في طياتها خصائص فنية وموضوعية تميزها كنموذج للسرد النسوي المتفرد، حيث تبدأ بصيغة استفهامية تعكس حواراً داخلياً عميقاً وبحثاً عن المعنى الروحي لا يقتصر على المدح التقليدي بل يتجاوزه إلى مساحة التأمل الفلسفي في طبيعة التوسل والعلاقة بالمقدس. ففي قولها "سألتم التمثال إذ لم أجد للثم نعل المصطفى من سبيل" نجد الشاعرة تضع نفسها في موقع الباحثة عن بديل روحاني يُعوّض استحالة الوصول المادي إلى النبي، وهذه المقاربة تكشف عن وعي سردي يحول النص من مجرد قصيدة مدح إلى سرد لتجربة روحانية خاصة تعكس الحساسية الأنثوية تجاه المقدس. إن هذا البناء السردي يختلف جوهرياً عن نماذج المديح النبوي الذكورية التي تميل إلى الفخامة اللفظية والمباشرة في الإطراء، بينما تختار أم السعد مساراً أكثر حميمية وذاتية يقوم على الاستبطان والمكاشفة الروحية.

تتجلى خصوصية السرد النسوي في هذه القصيدة من خلال البعد التأملي الذي يحكم بنيتها، فالشاعرة لا تكتفي بالتعبير عن حبها للنبي بل تبني سرداً تصاعدياً يتتبع رحلة البحث عن القرب الروحي من خلال الرمز المادي المتمثل في تمثال النعل الشريف. في قولها "لعلني أحظى بتقبيله في جنة الفردوس أسنى مقيل" نلمس رجاءً أنثوياً مفعماً بالأمل والشوق الروحاني، حيث تربط الشاعرة بين الفعل الدنيوي وهو تقبيل التمثال وبين الجزاء الأخروي المتمثل في اللقاء الحقيقي في الجنة، وهذا الربط يكشف عن بنية سردية زمنية تمتد من الحاضر الأرضي إلى المستقبل الأخروي، مما يمنح النص عمقاً فلسفياً يتجاوز حدود المديح المباشر. أما في قولها "في ظل طوبى ساكناً آمناً أسقى بأكواس من السلسبيل" فإن الشاعرة ترسم مشهداً جنانياً يعكس تصورها الشخصي للسعادة الأخروية، وهو تصور يتسم بالرقة والسكينة والأمان، وهي قيم تحمل دلالات نسوية واضحة تعكس حاجة المرأة إلى الطمأنينة والاستقرار الروحي.

يكتسب البيت "وأمسح القلب به علّه يسكن ما جاش به من غليل" أهمية خاصة في تحليل السرد النسوي لهذه القصيدة، إذ يكشف عن بعد نفسي عميق يتجاوز السطح الديني إلى التعبير عن معاناة داخلية وغليان عاطفي يبحث عن السكينة والشفاء. إن استخدام الفعل "أمسح" بما يحمله من دلالات الرقة واللطف والحاجة إلى التطهير الروحي يعكس خصوصية التجربة الأنثوية في التعامل مع المقدس، حيث لا تقف المرأة موقف المادح المنفصل بل تندمج في تجربة روحانية حميمة تسعى فيها إلى الشفاء النفسي والطمأنينة القلبية. أما الإشارة إلى "الغليل" فتكشف عن حالة من القلق الوجودي أو الشوق الروحي الذي يميز التجربة النسوية، وهو شوق لا يُعبّر عنه بصخب اللغة بل بهدوء التأمل والرجاء الصامت. وفي البيت الأخير "فطالما استشفى بأطلال من يهواه أهل الحب في كل جيل" تستدعي الشاعرة التراث الشعري العربي في التبرك بالأطلال والآثار، لتربط بين تقليد أدبي قديم وبين تجربتها الشخصية في التوسل بتمثال النعل، وهذا الربط يكشف عن وعي ثقافي رفيع ومعرفة بالتقاليد الأدبية، كما يمنح فعلها التبركي شرعية تاريخية وثقافية تُبرّر من خلالها بحثها عن القرب من النبي عبر الرمز المادي.

إن أحد أبرز ملامح السرد النسوي في هذه القصيدة يتمثل في استخدام ضمير المتكلم المؤنث الذي يؤسس لذات شعرية أنثوية واعية وفاعلة تروي تجربتها الخاصة دون وساطة ذكورية، وهو ما يخلق فضاءً سردياً نسوياً خالصاً يختلف عن الخطاب الذكوري السائد في شعر المديح النبوي الذي يميل إلى الفخامة والموضوعية والانفصال العاطفي. فأم السعد تتحدث بصوتها الخاص وتروي قصة بحثها الروحي الشخصي، وتُشرك القارئ في تأملاتها الداخلية وشكوكها ورجائها، مما يحول القصيدة من نص مدحي تقليدي إلى نص سردي يحكي رحلة روحانية أنثوية. هذه الخصوصية في التعبير تعكس ما تذهب إليه نظريات السرد النسوي من أن المرأة الكاتبة تميل إلى الكتابة الاستبطانية التي تركز على التجربة الشخصية والعواطف الداخلية بلغة رقيقة وحميمة تختلف عن اللغة الذكورية الأكثر موضوعية وفخامة.

يمكن قراءة هذه القصيدة أيضاً ضمن سياق مقاومة المرأة للقيود المفروضة عليها في الفضاء الديني والثقافي، فبينما كانت المرأة الأندلسية محرومة من المشاركة الفعلية في الحياة الدينية العامة ومن الوصول إلى المساجد والحلقات العلمية بالحرية ذاتها الممنوحة للرجال، تُعبّر أم السعد عن تديّنها وشوقها الروحي من خلال الشعر الذي يصبح وسيلة للتعبير عن تجربتها

الإيمانية الخاصة. إن لجوءها إلى تمثال النعل كبديل عن الوصول المباشر إلى الأماكن المقدسة يمكن أن يُقرأ كاستراتيجية أنثوية للتفاوض مع الواقع الاجتماعي المقيّد، حيث تجد المرأة في الرمز المادي مساحة للتعبير عن روحانيتها دون تجاوز الحدود المفروضة عليها اجتماعياً. هذه القراءة تتوافق مع ما تشير إليه الدراسات النسوية من أن الأدب النسوي غالباً ما يحمل استراتيجيات مقاومة خفية تُمكّن المرأة من التعبير عن ذاتها ضمن القيود الاجتماعية دون تحديها بشكل مباشر.

من المؤسف أن المصادر التاريخية لم تزودنا بمعلومات كافية عن السياق الحياتي لأم السعد أو عن مسيرتها الأدبية التفصيلية، فكل ما نعرفه أنها من أهل قرطبة وأنها روت عن أبيها وجدها، بينما تغيب التواريخ المحددة لميلادها ووفاتها والتفاصيل المتعلقة بتكوينها العلمي وظروف إنتاجها الشعري. هذا الغياب المعلوماتي يعمق من مأساة التغييب ويعكس عدم الاهتمام المنهجي بتوثيق حياة المرأة الأديبة في الثقافة الأندلسية حتى عندما تكون معترفاً بشهرتها وتميزها، وهو ما يشير إلى أن التهميش لم يقتصر على النصوص الأدبية بل امتد ليشمل السير الذاتية والتراجم، مما يجعل من الصعب اليوم إعادة بناء صورة كاملة عن المشهد الأدبي النسوي في الأندلس. إن هذا التهميش المزدوج للنص والسيرة يدعونا إلى إعادة النظر في مناهج دراسة الأدب الأندلسي والبحث عن استراتيجيات منهجية جديدة تمكننا من استعادة الأصوات المغيبة من خلال قراءة نقدية للمصادر المتاحة وتتبع الإشارات الخافتة التي تشي بوجود تراث نسوي أوسع مما وصلنا.

2-3. زينب المرية:

هي زينب بنت فروة المرية عاشت في عصر المعتصم بن صمادح في القرن الخامس الهجري، (بوفلاقة، 2006، ص66) تمثل واحدة من أبرز الأصوات النسوية المغيبة في الأدب الأندلسي، حيث يكشف غيابها النسبي من المدونات الأدبية الرئيسية عن إشكالية منهجية في التعامل مع الإنتاج الأدبي النسوي في الأندلس. فعلى الرغم من أن كتاب "نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب" للمقري التلمساني يُعد من أهم المصادر التي أرّخت للحياة الأدبية والثقافية في الأندلس، إلا أن حضور المرأة الشاعرة فيه يظل محدوداً وهامشياً، مما يعكس آلية الإقصاء الممنهجة التي تعرضت لها الأصوات النسائية في التدوين التاريخي والأدبي. إن دراسة شخصية زينب المرية وشعرها تكتسب أهمية مزدوجة، فمن جهة تسلط الضوء على واقع التهميش الذي عانت منه الشاعرات الأندلسيات، ومن جهة أخرى تكشف عن خصوصية السرد النسوي في شعرهن الذي يختلف جوهرياً عن النماذج الذكورية السائدة في تلك الحقبة. تنتمي زينب المرية إلى مدينة ألمرية الأندلسية، وقد اشتهرت ببراعتها الشعرية وفصاحتها، لكن ما وصلنا من شعرها يظل محدوداً للغاية، وهو ما يؤكد فرضية الضياع المتعمد أو غير المتعمد للإرث الأدبي النسوي في الأندلس. تقول هذه الشاعرة الأندلسية:

يَا أَيُّهَا الرَّاكِبُ الغَادِي لِطَيَّتِهِ عَرِّجْ أُنَبِّئْكَ عَنْ بَعضِ الَّذِي أَجِدُ
مَا عَالَجَ النَّاسُ مِنْ وَجْدٍ تَضَمَّنَهُم وَوُدُّهُ آخِرَ الأَيَّامِ أَجْتَهِدُ (المقريزي ، 1968، ص286)

إن قراءة شعر زينب المرية من منظور السرد النسوي تكشف عن خصائص أسلوبية وموضوعية تميزها عن الخطاب الشعري الذكوري، حيث نجد في قصائدها حضوراً قوياً للذات الأنثوية الفاعلة التي لا تكتفي بدور المفعول به في السياق الاجتماعي والأدبي، بل تنتج خطابها الخاص وتعبر عن تجربتها الذاتية بصوت مستقل. يتجلى السرد النسوي في شعرها من خلال عدة مستويات:

أولها المستوى الموضوعي حيث تتناول قضايا المرأة ومشاعرها وتجاربها العاطفية والاجتماعية من منظور داخلي أصيل، بعيدًا عن الصورة النمطية التي رسمها الشعراء الذكور للمرأة في الشعر الأندلسي.

ثانيا، على المستوى اللغوي والأسلوبي، نلاحظ أن زينب المرية تستخدم لغة شعرية تحمل خصوصية أنثوية في اختيار المفردات والصور الشعرية، حيث تبتعد عن المبالغات الحماسية والفخرية التي طبعت الكثير من الشعر الذكوري، وتميل إلى لغة أكثر رقة وعمقًا في التعبير عن المشاعر الإنسانية.

ثالثاً، يتضح البعد السردي في شعرها من خلال بناء القصيدة نفسها، حيث نجد أن بعض قصائدها تحمل بنية سردية واضحة تروي فيها الشاعرة حكايتها أو تجربتها الشخصية بتسلسل زمني ومنطقي، مما يجعل القصيدة أقرب إلى السرد منها إلى الغنائية الخالصة. إن هذا النمط السردي في الشعر النسوي يعكس حاجة المرأة الشاعرة إلى رواية قصتها الخاصة في مجتمع يحاول باستمرار فرض روايته عنها، فتصبح القصيدة فضاءً للمقاومة وإعادة تشكيل الهوية الأنثوية.

علاوة على ذلك، فإن دراسة زينب المرية كنموذج للأصوات المغيبة تفتح المجال لإعادة النظر في المنهجيات التقليدية لدراسة الأدب الأندلسي، حيث يتطلب الأمر البحث في المصادر المهملة والهوامش والإشارات العابرة التي قد تحمل ذكرًا لشاعرات لم يحظين بالاهتمام الكافي من المؤرخين والأدباء الذكور. إن غياب زينب المرية وأمثالها من الشاعرات عن المتن الأدبي

الرئيسي ليس دليلًا على عدم إبداعهن أو ضعف شعرهن، بل هو نتيجة لآليات الاستبعاد الثقافية والاجتماعية التي كانت تحكم عملية التدوين والحفظ في التراث العربي والأندلسي بشكل خاص.

من هنا، فإن مفهوم السرد النسوي في شعر زينب المرية لا يقتصر على الجوانب الفنية والأسلوبية فحسب، بل يمتد ليشمل البعد السياسي والاجتماعي لهذا الشعر باعتباره فعل مقاومة ضد الإقصاء والتهميش. إن صوت زينب المرية، على الرغم من خفوته في المدونة التاريخية، يظل شاهدًا حيًا على وجود تيار نسوي أدبي في الأندلس كان يحاول التعبير عن ذاته رغم كل القيود المفروضة عليه، وهو ما يستدعي من الباحثين المعاصرين جهدًا مضاعفًا في التنقيب عن هذه الأصوات وإعادة الاعتبار لها ودراستها بأدوات نقدية حديثة تأخذ بعين الاعتبار خصوصية التجربة الأنثوية في الكتابة.

4-2. أسماء العامرية:

تمثل الشاعرة أسماء العامرية إحدى الأصوات النسوية المغيبة في المشهد الأدبي الأندلسي، وهي ظاهرة تعكس واقعاً أعمق من مجرد الإهمال التوثيقي، بل تكشف عن آليات الإقصاء الممنهج للإنتاج الأدبي النسوي في الثقافة الأندلسية. كانت أسماء العامرية شاعرة أندلسية من إشبيلية (الحسون، 1338هـ ، ص135) لها صلة بأسرة المنصور، وعاشت خلال القرن الثاني عشر الميلادي، إلا أن التاريخ الأدبي لم يحفظ من نتاجها الشعري إلا أبيات قليلة في مدح الخليفة الموحدي عبد المؤمن (فواز، 2012 ،ص40؛ ابن الأبار، 1956، ص256) وهو ما يطرح تساؤلات جوهرية حول حجم الإرث الشعري النسوي المفقود والأسباب البنيوية التي أدت إلى تغييبه؛ تقول الشاعرة:

عَرَفنا النَّصرَ والفَتحُ المبينا لِسَيِّدِنا أمير المؤمنينا
إذا كانَ الحَديثُ عَنِ المَداني رأَيتُ حَديثُكُمُ فينا شَجونا (بوفلاقة ، 1986، ص161)

تمثل قصيدة أسماء العامرية نموذجاً معبراً عن تعقيدات الحضور النسوي في الفضاء الأدبي الأندلسي، حيث تتقاطع فيها استراتيجيات البقاء الاجتماعي مع محاولات التعبير عن الذات الأنثوية المحاصرة بالقيود الثقافية والسياسية. إن اختيار الشاعرة لغرض المديح السياسي ليس مجرد توافق مع التقاليد الشعرية السائدة، بل يمثل مناورة خطابية ذكية تسعى من خلالها المرأة الأندلسية إلى تأمين مكانة لصوتها في مجال عام يهيمن عليه الرجال بشكل كامل. يكشف البيت الأول "عرفنا النصر والفتح المبين لسيدنا أمير المؤمنينا" عن وعي استراتيجي بضرورة البدء بالتمجيد والثناء كمدخل لعرض القضية الشخصية، وهي آلية خطابية تعكس فهماً عميقاً لديناميات السلطة وكيفية التعامل معها من موقع الضعف الاجتماعي. إن استخدام ضمير الجماعة "عرفنا" بدلاً من ضمير المتكلم المفرد يحمل دلالات مركبة، فهو من جهة يمنح الخطاب مشروعية جماعية تتجاوز الذات الفردية، ومن جهة أخرى يعكس محاولة الشاعرة لإخفاء حضورها الفردي خلف صوت جماعي، وهو ما يمكن تفسيره كاستراتيجية حماية في مجتمع لا يرحب بالصوت النسوي المستقل.

يكتسب هذا الاختيار اللغوي أهمية خاصة عندما نضعه في سياق السرد النسوي، حيث نجد أن المرأة الشاعرة تتحرك بين رغبتين متناقضتين: الرغبة في تأكيد وجودها الفردي وصوتها الخاص، والحاجة إلى التخفي خلف الأصوات الجماعية لتجنب الإدانة الاجتماعية. إن البنية الخطابية للبيت الأول تقوم على معادلة دقيقة بين الاعتراف بالسلطة والتمهيد لطلب العدالة، فالشاعرة لا تكتفي بمجرد الثناء بل تؤسس لعلاقة تبادلية ضمنية بين الحاكم والرعية، حيث يقابل النصر والفتح المبين الذي حققه الخليفة التزام أخلاقي بتحقيق العدالة لرعاياه. هذا الوعي بالعقد الاجتماعي بين الحاكم والمحكوم يدل على نضج فكري وسياسي لدى الشاعرة، يتجاوز الصورة النمطية عن المرأة الأندلسية المحصورة في الفضاء الخاص والمنشغلة بالقضايا العاطفية فقط.

أما البيت الثاني "إذا كان الحديث عن المداني رأيت حديثكم فينا شجونا" فيكشف عن طبقة أعمق من البناء السردي النسوي، حيث تنتقل الشاعرة من المديح المباشر إلى تأسيس علاقة عاطفية مع الممدوح عبر ربط أمجاده بذاكرة جماعية تشارك فيها الشاعرة وأسرتها. إن استخدام مفردة "شجونا" بما تحمله من دلالات الحزن والألم والحنين يضيف بعداً وجدانياً للقصيدة يميزها عن خطاب المديح الذكوري التقليدي الذي يميل إلى التفخيم والمبالغة دون الدخول في تفاصيل المشاعر الإنسانية الدقيقة. هنا نلمس خصوصية السرد النسوي في قدرته على المزج بين الخطاب السياسي والبعد العاطفي، حيث لا تفصل الشاعرة بين القضية العامة والتجربة الشخصية، بل تجعل من معاناتها الخاصة جزءاً من سياق أوسع يربطها بتاريخ أسرتها وبالذاكرة الجماعية للمجتمع الأندلسي.

يتجلى السرد النسوي في هذه القصيدة من خلال البنية الثنائية التي تجمع بين الخطاب الرسمي والشكوى الضمنية، فالشاعرة لا تطرح مظلمتها بشكل مباشر في هذين البيتين، بل تمهد لها بإنشاء فضاء خطابي يجمع بين الولاء السياسي والانتماء العائلي والمعاناة الشخصية. هذه الاستراتيجية الخطابية تعكس الوضعية المعقدة للمرأة الأندلسية المثقفة التي تسعى للدفاع عن حقوقها في مجتمع لا يعترف بحقها في المطالبة المباشرة والصريحة. إن اللجوء إلى شعر المديح كوسيلة لعرض القضايا الشخصية ليس مجرد تكتيك براغماتي، بل يمثل شكلاً من أشكال المقاومة النسوية الناعمة التي تستخدم أدوات الثقافة السائدة لتحقيق أهداف خاصة بالمرأة.

من المهم أن نلاحظ أن السياق الذي كُتبت فيه هذه القصيدة يكشف عن بعد آخر من أبعاد التهميش النسوي، فأسماء العامرية لم تكتب شعراً للتعبير عن تجربة جمالية أو فلسفية، بل اضطرت للكتابة دفاعاً عن حقوقها المادية المهددة، وهو ما يشير إلى أن الإبداع النسوي في كثير من الأحيان كان مشروطاً بضرورات عملية ملحة، بينما كان الشعر الذكوري يتمتع بحرية أكبر في اختيار الموضوعات والأغراض. هذا القيد الموضوعي ساهم في تقييد التنوع الموضوعي في الشعر النسوي الأندلسي وحصره في أغراض محددة مقبولة اجتماعياً، مما أدى إلى ضياع الكثير من النصوص التي ربما تناولت موضوعات أكثر جرأة أو خصوصية.

إن تحليل هذين البيتين يكشف أيضاً عن التوتر الكامن بين الذات الأنثوية الفاعلة والقيود الاجتماعية المفروضة عليها، فالشاعرة من جهة تثبت حضورها ككيان مستقل قادر على التواصل المباشر مع أعلى سلطة سياسية في الدولة، ومن جهة أخرى تضطر لتبرير هذا الحضور عبر الإشارة إلى نسبها العامري العريق، وكأن المرأة لا تستمد شرعيتها من ذاتها بل من انتمائها لأسرة ذكورية مرموقة. هذا التناقض يعكس الوضعية الإشكالية للمرأة المثقفة في المجتمع الأندلسي، حيث كانت تتمتع بحضور ثقافي نسبي لكنه ظل مشروطاً ومحدوداً بالأطر الاجتماعية الأبوية.

علاوة على ذلك، فإن محدودية ما وصلنا من شعر أسماء العامرية تطرح تساؤلات منهجية حول معايير الحفظ والتدوين في التاريخ الأدبي الأندلسي، فاقتصار النصوص المحفوظة على أبيات المديح يشير إلى أن عملية الانتقاء لم تكن محايدة، بل خضعت لمعايير أيديولوجية واجتماعية حددت ما يستحق الحفظ وما يمكن إهماله. إن هذه الانتقائية تعكس آلية إقصاء ممنهجة استهدفت الأصوات النسوية التي قد تتحدى الأعراف السائدة أو تعبر عن تجارب لا تتوافق مع الصورة المثالية للمرأة في المجتمع الأبوي.

يمكن القول إن شعر أسماء العامرية، رغم محدوديته، يمثل شاهداً حياً على محاولات المرأة الأندلسية للتعبير عن ذاتها وحماية حقوقها ضمن نظام اجتماعي وثقافي لا يعترف بها كفاعل مستقل. إن قراءة هذه النصوص من منظور السرد النسوي تكشف عن طبقات من المعنى تتجاوز السطح البلاغي إلى الدلالات الاجتماعية والسياسية والثقافية العميقة، وتؤكد ضرورة إعادة النظر في التاريخ الأدبي الأندلسي من منظور يأخذ بعين الاعتبار التجربة النسوية المهمشة ويسعى لاستعادتها من النسيان القسري الذي فرضته عليها آليات السلطة الذكورية المهيمنة على عمليات التدوين والحفظ والتقييم الأدبي.

هذا وكتبت هذه الأندلسية إلى عبد المؤمن ابن علي رسالة نمت فيها إليه بنسبها العامري، وتسأله في رفع الانزال عن دارها، والاعتقال عن مالها، وفي آخرها قصيدة أولها:

عَرَفْنَا النَّصْرَ وَالفَتْحَ المبينَ لِسَيِّدِنَا أَمير المؤمنينا
إِذَا كانَ الحَديثُ عَنِ المعَالي رأَيت حَديثَكُم فينَا شُجُونا

ومنها:

رَوَيْتُم عِلْمَهُ فَعَلِمْتُمُوهُ وصنتُم عَهْدَهُ فَغَدَا مَصُونَا (المقريزي، 1968، ص292)

إن حالة أسماء العامرية تجسد بوضوح ما يمكن تسميته بالصمت القسري المفروض على الأصوات النسوية في التاريخ الأدبي الأندلسي، حيث اقتصر الحفظ والتدوين على نماذج محدودة من شعرها، ربما لأنها تتماشى مع التوقعات الذكورية للأدب النسائي المقبول اجتماعيًا، وهو شعر المديح الذي يعزز السلطة القائمة ولا يتحداها. يفتح هذا التغييب المجال للتأمل في مدى فقدان النصوص الشعرية النسوية التي ربما تناولت تجارب النساء الحياتية والوجدانية والاجتماعية بشكل أكثر جرأة وصراحة، لكن الآليات الرقابية الثقافية والاجتماعية حالت دون وصولها إلينا. من المنظور النقدي المعاصر، يمكن قراءة ما تبقى من شعر أسماء العامرية ضمن إطار السرد النسوي بمفهومه الحديث، وهو المفهوم الذي يشير إلى النصوص التي تحمل رؤى نسوية تكشف أنماط التهميش التي تعرضت لها المرأة، ولا يقتصر على كون الكاتبة امرأة فحسب. يقوم السرد النسوي على عدة مكونات أساسية منها نقد الثقافة الأبوية الذكورية، واقتراح رؤية أنثوية للعالم، والاحتفاء بالجسد الأنثوي، وهي عناصر يمكن تتبع إرهاصاتها الأولى في النصوص الشعرية النسوية الأندلسية حتى وإن كانت بصيغ مضمرة ومحجوبة. إن استخدام مصطلح

السرد النسوي في سياق الشعر الأندلسي النسائي يتطلب توضيحًا منهجيًا، فالسرد هنا لا يعني بالضرورة الشكل القصصي أو الروائي، بل يمتد ليشمل البنية الحكائية الكامنة في القصيدة الشعرية التي تروي تجربة المرأة وتعبر عن موقفها من العالم المحيط بها. في هذا السياق، يصبح الشعر النسوي الأندلسي شكلاً من أشكال السرد الذاتي الذي تنقل فيه الشاعرة تجاربها الشخصية والجماعية، وتفاوضها مع السلطة الأبوية، وسعيها لتأكيد وجودها ككيان مستقل له صوته الخاص. على الرغم من أن ما وصلنا من شعر أسماء العامرية يقتصر على المديح، وهو غرض شعري تقليدي ومقبول اجتماعياً، إلا أن مجرد وجود امرأة في مجال المديح السياسي يحمل دلالات مهمة حول الدور الاجتماعي للمرأة الأندلسية المثقفة وقدرتها على التفاعل مع السلطة السياسية بشكل مباشر، وهو ما يتجاوز الأدوار التقليدية المحصورة في الغزل والرثاء العائلي. إن تموضع أسماء العامرية في ساحة المديح السياسي يشير إلى وعي نسوي مبكر بأهمية الحضور في الفضاء العام والمشاركة في الخطاب السياسي ولو بشكل غير مباشر، وهذا بحد ذاته يمثل تحديًا خفيًا للحدود المفروضة على المرأة في ذلك العصر. يتطلب استعادة أسماء العامرية كصوت نسوي مغيب قراءة نقدية تتجاوز النصوص المحفوظة إلى السياق الثقافي والاجتماعي الذي أنتجها وحفظها أو أهملها. إن الخطاب النقدي العربي عالج قضية الخصوصية والاختلاف في الكتابة النسوية، لكنه غالبًا ما مارس ذلك من منظور ذكوري مركزي حاول مناقشة الكتابة النسوية من معايير المساواة على حساب الخصوصية، وهو ما ينطبق على دراسة الشعر النسوي الأندلسي أيضًا. إن إعادة قراءة شعر أسماء العامرية وغيرها من الشاعرات الأندلسيات المهمشات يتطلب منهجية نقدية نسوية تبحث عن العلامات المميزة للإبداع النسوي وما يقوم عليه من منظورات فكرية وأنساق جمالية خاصة، بدلاً من مجرد مقارنته بالمعايير الشعرية الذكورية السائدة. تكمن أهمية دراسة حالة أسماء العامرية في أنها تكشف عن الآليات البنيوية للتغييب التي مورست ضد الإنتاج الأدبي النسوي، فالحفظ الانتقائي لنصوصها يعكس توجهات أيديولوجية محددة في المجتمع الأندلسي تسمح بحضور المرأة الشاعرة في الأغراض التقليدية المقبولة كالمديح، بينما تهمش أو تمحو تمامًا النصوص التي قد تتحدى الأعراف الاجتماعية أو تعبر عن تجارب نسوية أكثر حميمية وجرأة. هذا التغييب الممنهج يجعل من الصعب إعادة بناء صورة كاملة للإنتاج الأدبي النسوي الأندلسي، لكنه في الوقت نفسه يؤكد ضرورة البحث عن القراءات المضمرة والدلالات الخفية في النصوص المحفوظة، والتساؤل عما لم يصلنا ولماذا. في السياق الأوسع للسرد النسوي الأندلسي، تمثل أسماء العامرية حلقة في سلسلة طويلة من الأصوات النسوية التي سعت إلى التعبير عن ذاتها ضمن قيود المجتمع الأبوي، وإن اتخذت هذه المحاولات أشكالاً مختلفة تتراوح بين التوافق الظاهري مع التوقعات الاجتماعية والتمرد الصريح عليها. إن دراسة هذه الأصوات المغيبة ليست مجرد عملية توثيقية لاستعادة التاريخ الأدبي المفقود، بل هي أيضًا ممارسة نقدية تكشف عن آليات السلطة والمعرفة في تشكيل الذاكرة الجماعية وتحديد ما يستحق الحفظ وما يمكن نسيانه. من هذا المنظور، يصبح البحث عن أسماء العامرية وأمثالها من الشاعرات المغيبات مشروعًا معرفيًا وسياسيًا في آن واحد، يهدف إلى تفكيك الخطاب الأدبي الذكوري السائد وإعادة بناء تاريخ أدبي أكثر شمولاً وعدالة يعترف بإسهامات النساء ويمنحها المكانة التي تستحقها في المشهد الثقافي الأندلسي. يمكن القول إن شعر أسماء العامرية، رغم محدودية ما وصلنا منه، يمثل شاهدًا على وجود تقليد شعري نسوي غني في الأندلس تعرض للتهميش والإهمال بفعل الآليات الثقافية والاجتماعية التي تحكمت في عمليات الحفظ والنقل والتدوين، وإن استعادة هذا التقليد وإعادة قراءته من منظور السرد النسوي يفتح آفاقًا جديدة لفهم التجربة النسوية في الأدب الأندلسي ويعيد الاعتبار لأصوات ظلت مغيبة لقرون طويلة.

النتائج

وأخيراً يمكن أن نستخلص أهمّ النتائج والأفكار التي توصّلت إليها هذه الدراسة على الشكل التالي:

1. كشفت هذه الدراسة عن أن السرد النسوي في الأدب الأندلسي يمثل ظاهرة أدبية متميزة تختلف جوهرياً عن الخطاب الذكوري السائد، حيث أظهر التحليل المعمق لأشعار حسانة التميمية وأم السعد بنت عصام الحميري وزينب المرية وأسماء العامرية وجود خصائص سردية فريدة تعكس الوعي النسوي المبكر في استعادة الصوت المسلوب وإعادة تشكيل الذات الأنثوية من خلال النص الشعري.
2. ظاهرة تغييب الأصوات النسوية في النصوص الأدبية الأندلسية لا تعود إلى غياب الإنتاج الأدبي النسوي أو ضعفه، بل تنتج عن آليات إقصاء ممنهجة تعكس البنية الذكورية المهيمنة على عملية الحفظ والتوثيق التاريخي، إذ أن ما وصلنا من نتاج هؤلاء الشاعرات يمثل شذرات متناثرة لا تعكس الحضور الفعلي للمرأة في المجتمع الأندلسي.
3. أثبت البحث أن السرد النسوي في شعر حسانة التميمية يتجلى من خلال استخدامها لضمير المتكلم المفردة المؤنثة الذي يضع الذات الأنثوية في مركز النص ويجعلها محوراً فاعلاً ومنتجاً للمعنى، حيث وظفت الشعر كوسيلة للتعبير عن أزمتها الوجودية والاجتماعية في مواجهة واقع الترمل والحاجة، وبنت خطاباً شعرياً يحمل بنية سردية متدرجة تنتقل من وصف

الحالة المؤلمة إلى استرجاع الماضي الزاهر ثم العودة للحاضر المأزوم. وقد تميزت قصائدها بذكاء خطابي يجمع بين المدح والشكوى كاستراتيجية تواصلية لمفاوضة السلطة، مما يكشف عن وعي سردي يتجاوز مجرد التعبير العاطفي ليصبح أداة سردية تحمل بنية درامية واضحة لتحقيق غايات محددة.

4. أما في شعر أم السعد بنت عصام الحميري، فقد أظهر التحليل أن القصيدة الوحيدة الباقية لها تحمل سمات السرد النسوي المتميز من خلال البدء بصيغة استفهامية توحي بحوار داخلي عميق وبحث عن المعنى الروحي، حيث تحول النص من مجرد قصيدة مدح نبوي إلى سرد لتجربة روحانية خاصة تعكس الحساسية الأنثوية تجاه المقدس. وتبين أن استخدامها لضمير المخاطبة المؤنث في خطابها الشعري يشير إلى وجود ذات نسوية واعية تخاطب نفسها أو تخاطب نساء أخريات، مما يخلق فضاءً سردياً نسوياً خاصاً يختلف عن الخطاب الذكوري السائد في شعر المدح النبوي، ويكشف عن منظور أنثوي فريد في التعامل مع الموضوع الديني يقوم على الاستبطان والمساءلة الذاتية والتعبير عن التجربة الشخصية بلغة عاطفية رقيقة.

5. في شعر زينب المرية، كشفت الدراسة عن حضور قوي للذات الأنثوية الفاعلة التي لا تكتفي بدور المفعول به في السياق الاجتماعي والأدبي، بل تنتج خطابها الخاص وتعبر عن تجربتها الذاتية بصوت مستقل، حيث تتناول قضايا المرأة ومشاعرها وتجاربها العاطفية والاجتماعية من منظور داخلي أصيل بعيداً عن الصورة النمطية التي رسمها الشعراء الذكور للمرأة. وعلى المستوى اللغوي والأسلوبي، تبين أن زينب المرية تستخدم لغة شعرية تحمل خصوصية أنثوية في اختيار المفردات والصور الشعرية، حيث تبتعد عن المبالغات الحماسية والفخرية وتميل إلى لغة أكثر رقة وعمقاً في التعبير عن المشاعر الإنسانية، كما أن بعض قصائدها تحمل بنية سردية واضحة تروي فيها الشاعرة حكايتها أو تجربتها الشخصية بتسلسل زمني ومنطقي، مما يجعل القصيدة أقرب إلى السرد منها إلى الغنائية الخالصة.

6. توصل البحث إلى أن السرد النسوي في شعر هؤلاء الشاعرات الأندلسيات لا يقتصر على الجوانب الفنية والأسلوبية فحسب، بل يمتد ليشمل البعد السياسي والاجتماعي باعتباره فعل مقاومة ضد الإقصاء والتهميش، حيث تصبح القصيدة فضاءً للمقاومة وإعادة تشكيل الهوية الأنثوية في مجتمع يحاول باستمرار فرض روايته عن المرأة. وقد أظهرت الدراسة أن تركيز المصادر التاريخية على الأصوات النسوية المرتبطة بالسلطة والنفوذ كشاعرات بيت الملك والأميرات يطرح تساؤلات حول تأثير المكانة السياسية والاجتماعية في ظهور الأشعار وحفظها، بينما ظلت أصوات كثيرة لم تجد طريقها للتدوين رغم قيمتها الأدبية.

7. أثبت التحليل أن معايير الاختيار والانتقاء التي حكمت عملية التدوين الأدبي قد انحازت لأصوات معينة دون غيرها بناءً على المكانة الاجتماعية أو القرب من السلطة، وأن محدودية وصول النساء للتعليم أسهمت في تضييق الإنتاج الأدبي النسوي وهيمنة السرد الذكوري على الساحة الأدبية الأندلسية. كما كشفت الدراسة عن أن غياب التوثيق الكامل لسير هؤلاء الشاعرات وإنتاجهن الشعري يعكس النزعة الذكورية في التأريخ الأدبي التي همشت الأصوات النسوية حتى حين كانت هذه الأصوات تمتلك حضوراً قوياً في الساحة الأدبية والاجتماعية.

8. خلصت الدراسة إلى أن إعادة الاعتبار لهذه الأصوات المغيبة يتطلب إعادة النظر في المنهجيات التقليدية لدراسة الأدب الأندلسي، والبحث في المصادر المهملة والهوامش والإشارات العابرة التي قد تحمل ذكراً لشاعرات لم يحظين بالاهتمام الكافي من المؤرخين والأدباء الذكور، مع ضرورة استخدام أدوات نقدية حديثة تأخذ بعين الاعتبار خصوصية التجربة الأنثوية في الكتابة. وقد أكدت الدراسة أن أصوات حسانة التميمية وأم السعد بنت عصام الحميري وزينب المرية وأسماء العامرية، على الرغم من خفوتها في المدونة التاريخية، تظل شواهد حية على وجود تيار نسوي أدبي في الأندلس كان يحاول التعبير عن ذاته رغم كل القيود المفروضة عليه، وأن السرد النسوي في أشعارهن يمثل مشروعاً تحررياً يكسر احتكار الرجل للسلطة السردية ويؤسس لخطاب أنثوي مستقل يستحق الدراسة المعمقة والتقدير الأكاديمي.

المصادر

ابن الأبار، أبي عبد الله محمّد بن عبد الله بن أبي بكر ،التكملة لكتاب الصلة،ج1، نشر وتصحيح: عزت العطار الحسيني، (مصر: مطبعة السعادة،1956م) .
ابن الأبار، محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي ، التكملة لكتاب الصلة، ج1، المحقق: عبد السلام الهراس،(لبنان: دار الفكر للطباعة،1415هـ) .
الأنصاري، محمد بن محمد بن عبد الملك ، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة،ج1، (الرباط: مطبعة المعارف الجديدة،1984م) .
بوفلاقة، سعد ، الشعر النسوي الأندلسي،(الجزائر: مطبعة جامعة عنابة، 1986م) .
الحسّون، محمّد ، أعلام النساء المؤمنات،(إيران: دار الأسوة للطباعة والنشر. 1338هـ.ش) .
الحموي، شهاب الدين ،معجم البلدان،ج5،(بيروت: دار إحياء التراث العربي،ب.ت) .
سالم الحداد، فوزي عمر ، التذويت في السرد النسوي المعاصر (ليبيا أنموذجاً) ، (ليبيا: جامعة طبرق، كلية التربية، قسم اللغة العربية، ب.ت) .
السكري، جهاد مصطفى ،أثر المجتمع الأندلسي على الشعر النسوي في الأندلس، (مجلّة البحوث والدراسات العربية، العدد 74،2021م) .
السيوطي، جلال الدين ، نزهة الجلساء في أشعار النساء،(مكتبة القرآن للطباعة والنشر والتوزيع، ب.ت) .
شافع، عبد الحميد ،المرأة في المجتمع الأندلسي (من الفتح الإسلامي للأندلس حتى سقوط قرطبة) ، ط1، (د.م: عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية،2006م) .
شعبان شاوش، وهيبة،أمينة طوطاح ، الامرأة في الأندلس، البويرة: جامعة اكلي محند اولحاج، (كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، رسالة الماجستير، إشراف: نسيم حسبلاوي، 2014م) .
صبحي، محمّد،صورة المرأة في الأدب الأندلسي في عصر الطّوائف المرابطين، (الأردن:عالم الكتب الحديث،2003م) .
صديقي، محمّد، ليبدري بلخير ، جهود المرأة الأندلسية في مجال الشعر على عهدي المرابطين والموحدين من خلال كتاب نفح الطيب، (مجلّة المقدمة للدراسات الإنسانية والاجتماعية، المجلد 06، العدد 2،2021م) .
فواز، زينب ، الدر المنثور في طبقات ربات الخدور، (القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة،2012م) .
كبابي، وردة ، جمالية السرد النسوي وخصوصيته في "الأسود يليق بك" لأحلام مستغانمي، المجلد7، (جامعة أم البواقي: مجلّة العلوم الإنسانية، ، العدد3،2020م) .
معتصم، محمّد، المرأة والسرد، (المغرب: الدار البيضاء. 2004م).
المقريزي التلمساني، نفح الطيّب من غصن الأندلس الرّطيب ، ج4، تحقيق: د.إحسان عبّاس، (بيروت: دار صادر، 1968م) .